

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثانية والخمسون

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، وما زال الحديث موصولاً عن حياته ذلك الفتي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

جانب هام من حياة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) العلمية في وقت شبابه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد تهيأ لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ملازمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صغيراً حين تربى في حجره ، وكبيراً حينما كان صهره ووالد سبطيه ، فكان بذلك قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يأخذ عنه ، ويتعلم منه . ويدل على لزومه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قول عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) ، في حديث المقدم بن شريح^(١) عن أبيه قال : «سألت عائشة فقلت : أخبريني برجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أسأله عن المسح على الخفين . فقالت : ائت علياً فسله ، فإنه كان يلزم النبي (صلى الله عليه وسلم) . قال : فأتيت علياً فسألته . فقال أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمسح على خفافنا إذا سافرنا»^(٢) .

(١) ابن هانيء بن يزيد الحارثي الكوفي ، قال أحمد وأبو حاتم والنسائي : المقدم ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . (انظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٢٥٥/١٠) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، المسند بتحقيق أحمد شاکر ٢ / ١٩٥ ، وقال أحمد شاکر في تحقيقه : إسناده صحيح .

والعلم الذي يتعلمه الإنسان ، لا يأتيه وحياً من السماء ، ولكن بقراءة أو سماع من العلماء به ، العارفين بمعناه ، العاملين بمقتضاه ، وهم الشيوخ الذين يُتلقى عنهم العلم . وقد كان السلف يفضلون تلقي النصوص سماعاً من المشايخ على تلقيه قراءة من الكتب . فكان بعضهم يقول : «من أعظم البلية تَشْيُخُ الصحيفة»^(٣) . وقال الشافعي : «من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام»^(٤) .

لذا فإنه على الشاب طالب العلم ألا يقتصر في طلبه للعلم على القراءة أو سماع الأشرطة فحسب ، بل لابد له من التلقي من العلماء الموثوقين المعروفين بالجد في العلم والعمل .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لقد نال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بما تيسر له من لزوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتعلم منه ، نال بذلك درجة عظيمة في العلم ، أصبح معها علماً من أعلام العلم في هذه الأمة ، فقد آتاه الله سبحانه قوة في الحفظ ، وقدرة على الفهم ، فقد ورد عنه (رضي الله عنه) أنه قال : « أمرني النبي (صلى الله عليه وسلم) أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تفضل أمته من بعده ، قال : فخشيت أن تفوتني نفسه ، قال : قلت إني أحفظ وأعي ، قال : أوصي بالصلاة والزكاة ، وما ملكت أيمانكم »^(٥) .

كما كان لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكانة عالية في العلم ، ولكنهم لم يكونوا على درجة واحدة في هذا العلم ، وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من أعلامهم في هذا الشأن ، وكانوا يعرفون عنه هذه المكانة ، لذا فقد كان جماعة منهم يحيلون

(٣) أي الذين تعلموا من الصحف .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص ٨٣ .

(٥) المرجع السابق ، المدرك السابق .

(٦) أخرجه الإمام أحمد ، المسند بتحقيق أحمد شاكر ٢ / ٨٤ ، وقال أحمد شاكر : إسناده حسن .

المستفتين عليه (رضي الله عنه) . فعن أذينة العبدى^(٧) قال : « أتيت عمر فسألته : من أين أعتمر ؟ فقال : ائت علياً فأسأله »^(٨)

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : « إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به »^(٩) ، وفي رواية عن ابن عباس أيضاً قال : « إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها »^(١٠) .

ولتميز علي (رضي الله عنه) في العلم فقد تميز في القضاء ايضاً ، لأن القاضي لا بد أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية ، ولا يتم له ذلك إلا بالعلم بكتاب الله ، بما تضمنه من الأحكام ، ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وعموماً وخصوصاً ، ومجماً ومفسراً . والعلم بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أفعال وأقوال .^(١١)

وعلي (رضي الله عنه) من أكمل صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الجانب من العلم والفهم ، الذي يدل على قوة ضبطه ودقة فهمه ، لذا فقد اختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتوليته القضاء في اليمن وهو شاب ، كما يقول علي (رضي الله عنه) : « بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أهل اليمن قاضياً ، فقلت : يا رسول الله ! ترسلني وأنا حديث السن ، ولا علم لي بالقضاء ؟ فقال : إن الله سيهدي قلبك ، ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ؛ فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء . قال : فما زلت قاضياً ، أو ما شككت في قضاء بعد »^(١٢) .

(٧) أذينة العبدى سمع من عمر (رضي الله عنه) وروى عنه ابنه عبد الرحمن ، ويروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مراسلاً . (البخاري

، التاريخ الكبير ٢ / ٦٠ . والرازي ، الجرح والتعديل ٢ / ٣٢٩) .

(٨) المحب الطبري ، ذخائر العقبى ص ٧٩ . والرياض النضرة ٢ / ١٦٢ .

(٩) أخرجه ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ص ١١٠٤ . وابن الأثير ، أسد الغابة ٤ / ٢٣ .

(١٠) أخرجه ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٣٨ .

(١١) انظر شروط القاضي عند أبي يعلى الخنبلي ، الأحكام السلطانية ص ٦١ .

(١٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٨٨ . وأبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ٤ / ١١ ، واللفظ له . وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢

/ ١٥٨ . والحاكم في المستدرک ٣ / ١٣٥ ، وقال : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٠٥٧ .

ومما يدل على تميزه في هذا الجانب قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية^(١٣) للأسد إذ سقط رجل فتعلق بآخر ، ثم تعلق رجل بآخر ، حتى صاروا فيها أربعة ، فجرحهم الأسد ، وماتوا من جراحاتهم ، وكاد أولياؤهم أن يقتتلوا ، وجاءهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقضى بينهم بقوله : « اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية ، وثلث الدية ، ونصف الدية ، والدية كاملة . فلأول الربع ؛ لأنه هلك مَنْ فوقه ، ولثاني ثلث الدية ، ولثالث نصف الدية » فلما ذهب الأولياء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخبروه ، أقر هذا القضاء .^(١٤)

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، هكذا تعلوا مكانة الشباب في المجتمعات ، تعلو بما عندهم من العلم والفهم ، الذي يورث صلاحهم ، وصلاح أمتهم ، وليست تلك المظاهر الزائفة والشعارات الرديئة التي يظنها بعض الشباب في العصر الحاضر وسائل للتقدم والرقى ، بل هي على العكس علامات على التخاذل والانحطاط .

كما أن قيمة الشباب في المجتمع لا تقدر بسياراته ، ولا بشهاداته ، ولا بجمال شعره وثيابه ، كما لا تقدر بقوة عضلاته أو جودة حركاته ، إنما تقدر قيمة الشباب الحقيقية بما له من نصيب في العلم النافع ، والعمل الصالح ، والخلق القويم ، نسال الله سبحانه وتعالى لشبابنا التوفيق والسداد .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، للحديث بقية إن شاء الله ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٣) الزبية حفرة تحفر للأسد ، ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض ؛ لئلا يبلغها السيل فتنطم ، وقال الفراء : سميت زبية الأسد زبية لارتفاعها عن السيل . (ابن منظور ، لسان العرب ١٤ / ٣٥٣ ، مادة [زبي]) .

(١٤) انظر الحديث في مسند الإمام أحمد ، وقال أحمد شاکر إسناده صحيح (المسند بتحقيق أحمد شاکر ، حديث رقم ٥٧٣) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ / ٢٨٧ . والمحجب الطبري في ذخائر العقبى ص ٨٤ . والسيوطي في مسند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ١ / ٢٧ . وانظر أيضاً : عبدالله عثمان علي مقبل ، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (رسالة ماجستير) ص ١٦٥-١٧٥ .